السخرية الهادفة
في شعر أحمد مطر

الأستاذ المساعد الدكتور
حافظ كوزي عبد العالي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

السخرية الهادفة في شعر أحمد مطر

الأستاذ المساعد الدكتور
حافظ كوزي عبد العالي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

المقدمة

اعتاد الدارسون على أعطاء تعريفات للظواهر الأدبية المختلفة ومنها السخرية فاعتقدوا أن النفس البشرية تبحث في الفكاهة عن منفذ للتنفيس عن آلامها وتسعى عن طريق النكتة نحو التهرب من الواقع الذي كثيرا ما يثقل كاهلها وتبدد ما ترسب في الأعماق من الهواجس الكئيبة وتعتقها مما يغلها من قيود الفقر والفشل [١]. وقالوا إن الابتسام والضحك والمرح والفكاهة والمزاح والدعابة والهزل والنكتة والملحة والنادرة والملهاة (الكوميديا) ما هي إلا ظواهر نفسية من فصيلة واحدة وكلها إنما تصدر عن تلك الطبيعة البشرية المتناقضة [٢].

وقالوا إن السخرية عقوبة نفسية أو عقوبة يراد بها إيقاع الأذى داخل النفس وهي أصعب وأكثر ألما من العقوبة البدنية . وربما قصد أصحاب السخرية اللهو والإضحاك والعبث وتسجية الوقت وإملاء ساعات الفراغ وغير ذلك وكل هذه الآراء تجد لها مصاديق في الشعر عموما والشعر العربي خصوصا – ولكني حين قرأت شعر أحمد مطر في مجموعته الكاملة الصادرة في لندن بطبعتها الثانية ٢٠٠٣ وجدت أن أحمد مطر شاعر ساخر من طراز خاص فهو في شعره الساخر يحمل قضية إنسانية عامة بأبعادها المختلفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية يعاني منها الشعب بمختلف طبقاته في ظل

سلطة حاكمة غاشمة جردته من مقوماته الإنسانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحرمته من ممارسة كل ما لديه من تقاليد وأعراف

وهو يعرض هذه المشاكل بأسلوب ساخر يبلغ حد الحزن عرضا يصدق عليه القول إن الساخرين هم اشد الناس حزنا، محاولا أن يسلط الضوء عليها ملتمسا الحلول الناجعة لكثير من المشاكل التي يعرضها في شعره.

فلم يكن شاعرا ساخرا بقصد اللهو والعبث والإضحاك وإملاء الفراغ،بل كان جادا في شعره.

إن هذا الأسلوب المختلف عن أساليب الشعراء الساخرين الذين عرفناهم في العصور الأدبية الماضية كان مدعاة لدراسة شعر أحمد مطر الساخر.

لقد اعتمدت في دراستي على النص الشعري أولا وأخيرا وذلك لعدم توافر دراسات عن شعر أحمد مطر ، وشعره الساخر بشكل خاص ، وان وجدت فهي يصعب الحصول عليها ، بسبب الطوق الإعلامي الذي ضرب على شعر أحمد مطر في السنوات الماضية ولذا فان عدم توافر المصادر والدراسات عن أحمد مطر كان من أهم الصعوبات التي واجهت البحث.

لقد تعرضت في هذه الدراسة بعد التمهيد الذي درست فيه عرضا لشعر السخرية أولا ثم عوامل السخرية في شعر أحمد مطر تعرضت لدراسة ثلاثة موضوعات في ثلاثة مباحث

ففي المبحث الأول درست السخرية من السلطة وأساليبها

وفي المبحث الثاني درست السخرية من الحكام .

وفي الثالث درست السخرية من الزمن .

ودرست بعد ذلك في المبحث الرابع أسلوب المفارقة بعدّه من أهم الأساليب التي استعملها الشاعر في شعره .

ثم دوّنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، والحمد لله أولا وآخرا .

التمهيد

السخرية بأنواعها المتعددة فن قديم عرف منذ أن عرفت المجتمعات البشرية وقد مارسها الإنسان والأدباء خاصة على امتداد العصور. فهي معروفة في مجتمع الإغريق والرومان وقد وصلتنا الكوميديات الأثينية القديمة الساخرة مثل كوميديات ارستوفان وسوفوفكيس وغيرهم [٣] .

لقد نناول الأدباء الإغريق الساخرون موضوعات مختلفة سياسية واجتماعية وصوروا النقائض الاجتماعية والعيوب والرذائل وغيرها كما في مسرحية الضفادع لارستوفانبس .

كما أن الغربيين في العصر الحديث عالجوا موضوعات كثير محاولين إصلاحها عن طريق السخرية كما هو الحال عند (موليير) الذي حاول معالجة موضوعات اجتماعية (كالنفاق والبخل) وكذا الحال عند (برنادشو) .الذي وظف سخريته لمعالجة قضايا المجتمع وعاداته البالية [٤]

ولم يكن الأدباء العرب والشعراء منهم خاصة قاصرين عن أتباع هذا الأسلوب من التعبير، بل مارسوه ممارسة فعّالة هادفة منذ العصر الجاهلي مرورا بعصور الأدب الأخرى والى عصرنا الحديث هادفين إلى معالجة كثير من القضايا الاجتماعية والسياسية وغيرها. وقد اختلفت معالجاتهم لقضايا المجتمع باختلاف طبيعة الحياة وطبيعة المجتمع إلى عاشها هؤلاء الشعراء والعلاقات الاجتماعية السائدة آنذاك والمرحلة السياسية التي مروا بها فطبيعة السخرية عندهم تتغلب بين السلب والإيجاب فهي ايجابية هادفة أحيانا وقد تكون سلبية في أحيانا أخرى . حين يقصد منها اللهو الإضحاك والعبث .

فمنذ العصر الجاهلي مارس الشاعر العربي الهجاء الساخر معرضا بأعدائه وخصومه للحط من قيمتهم الاجتماعية ومحاولة النصر والتغلب عليهم غير مبالٍ بما تجر هذه الممارسات من عواقب هي ليست لصالح المجتمع إذ كان الهدف منها هدفا شخصيا وهو حيازة تغلّب ولو كان وقتيا .

فتعرضوا ((للأنساب والاحساب والأعراض والإخلاص فصوروها في خيال صادق أو كاذب ، لا يبالون بما يعترض سبيلهم من سمعة تتحطم أو كرامة تتهشم أو أرومة تتهدم أو نسب ينهار أو عرض يُفضح فقد كان الهدف النصر على الخصم ليس غير)) [٥] .

واحسب أن الهجاء الساخر في العصر الجاهلي لم يكن هادفا لتحقيق منفعة تخدم المجتمع العربي بل كان هجاءً ساخرا من اجل إبراز المثالب ونفي المحاسن ، كثرت في نماذجه أساليب الفحش الرخيص والتهكم والاستهزاء وهو بطبيعة الحال إنما ينطلق من طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة في مجتمع الجزيرة آنذاك [٦] .

واحسب أيضا أن هذه المرحلة من الهجاء الساخر لم تقدم نفعا للمجتمع العربي بقدر ما أساءت إليه فقد كشفت عن نقائصه وسلبياته وأسلوب وطبيعة حياته عامدة لإظهارها واخفاء ما هون أفضل منها من علاقات نبيلة وخصال حميدة وتقاليد جميلة ، فهي ضارة وان كانت تصلح أن تكون وثيقة لدراسة بعض زوايا هذا المجتمع .

ولنا أن نعد هذا النوع من الهجاء اقذاعيا إذ هو لا يعدو الشتم والسباب وظهار العيوب ((وهذا النوع قد يعدم القيمة الفنية لأنه لا ينطوي على عمق في الرؤيا أو الأداء))[٧] .

أما في العصر الإسلامي فقد خفت هذه الأنواع من الهجاء إذ كانت طبيعته قد تغيرت نوعا ما بفعل الحياة الجديدة التي حرص عليها الدين الجديد وبفعل انشغال العرب بهدفهم الأول وهو نشر المبادئ الإسلامية والفتوح والجهاد وان كان بعض نماذجه ظلت سائرة بفعل تغلغل حياة البداوة في نفوسهم وقرب عهدهم بها .

فمن الشعراء الذين وردت في شعرهم على سبيل المثال حسان بن ثابت [٨] في قوله :

لنا في كل يوم من معد قتال أو سباب أو هجاء

فنحكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

كما أن بعض الشعراء في هذا العصر اخذوا معنى السخرية من القران الكريم إذ وردت أربع عشرة مرة فيه[٩] . ولا يغيب عن البال أن السخرية التي وردت في القران الكريم سخرية هادفة هدفها إصلاحي فهي تهدف إلى توجيه الناس نحو طريق الحق والإصلاح وترك المساؤى والمفاسد كما هو واضح من سياق الآيات مارة الذكر . وفي العصر الأموي تغيرت ظروف الحياة وتبدلت السياسة فأصبح طابعها قبليا ونمت الارستقراطية العربية وبرز دور القبيلة على الصورة التي كانت عليها في العصر الجاهلي مما شجع على ظهور نزعات السخرية والهجاء السلبي بصورة واضحة ممثلا في فن النقائض بين جرير والفرزدق وان كان ذلك يعود إلى تاريخ اسبق من هذا التاريخ إذ يعود تاريخ النقائض إلى زمن العصر الإسلامي كما هو عند غسان السليطي وابُيعث المجاشعي وعمر بن لجأ كذلك نلاحظ أن ضعة النسب في مجتمع يقدس الألقاب والأنساب كان سببا في نشؤ شعر السخرية مثلما وجدناه عند الحطيأة. كما يلاحظ أن طابع السخرية والهجاء في اغلب فصول هذه النقائض يغلب

عليها الإضحاك واللهو فجرير (١٤٤هـ) مثلا كان يرمي الفرزدق بان زوجه النوار لا تحبه وانه ليس فيه شيء تعشقه النساء وفي الوقت نفسه نرى أن الفرزدق يعيّره بجارية له طلبت منه أن يبيعها لأنها كرهته [١٠].وفي العصر العباسي حيث التطور الحضاري والثقافي والاقتصادي والسياسي تحول فن الهجاء والسخرية من أسلوبه القديم إلى أسلوب جديد إذ مال الشعراء إلى التهكم والتجريح ونقد العيوب المنتشورة في المجتمع العباسي عامدين إلى الكلمة الجارحة التي تحمل نقدا لاذعا وتجريحا مرا مثلما يلاحظ ذلك في شعر بشار وحماد

عجرد وأبي نواس وابن الرومي سكرة وابن الجماح وغيرهم فضلا

عما يشوب هذه السخرية من أسلوب يؤثر الإثارة والضحك في بعض جوانبه .

كما كان للسياسة واختلال القيم دور كبير في إنضاج كثير من الأساليب الساخرة لدى كثير من الشعراء كالمتنبي وابن الرومي وغيرهم ممن صب جام غضبه ساخرا من الناس والمجتمع والحكم مصرا في ذلك عن جماح نفسي عارم وثروة نفسية متأججة تجاه ما يراه من مظاهر سلبية في المجتمع وكذلك سخر البعض من عيوب الناس كما هو الحال عند ابن الرومي الذي رسم صورا كاريكاتيرية تنمّ عن اضطراب نفسي أوصله إلى السخرية حتى من نفسه [١١]

يقول :

فان وجهي بقبح صورته مازال بي كالشيب والصلع

كما نقل الشعراء العباسيون صورا لمجتمع ساءت فيه الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهي غير مشرفة للمجتمع العربي[١٢].

ويتوالى شعر السخرية بأشكاله المختلفة في العصور اللاحقة حتى عصرنا الحديث وهو في كل حقبة زمنية يضيف إضافة جديدة إلى هذا التراث نابعة من طبيعة الحياة في ذلك المجتمع.

السخرية الهادفة في شعر أحمد مطر

واحسب أن سخرية أحمد مطر تختلف كثيرا عن سخرية شعراء العرب ابتداء من العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث مرورا بالعصر الإسلامي والأموي والعباسي

فلم يكن أحمد مطر يسخر من شخص لأنه قصير أو طويل أو بدين أو نحيف أو لديه لحية طويلة أو انف أفطس أو غير ذلك من أنواع السخرية والهجاء التي ألفناها عند الشعراء العرب ، كذلك لم يهجُ قبيلة لأنها خصم لقبيلته أو يشتم شاعرا لأنه عدو له كل هذه الأنواع من السخرية لا نجدها في شعر أحمد مطر الساخر والذي هو في حقيقة الأمر في اغلبها نوع من اللهو والعبث والكلام غير المسؤول ، بل نجد أحمد مطر في شعره في مجموعته التي بلغت أكثر من ٥٠٠ صفحة استطيع أن أقول عنها إن غالبيتها تصنف في مجال الشعر السياسي الساخر الهادف – نجده في هذه المجموعة شاعرا يحمل قضية شعب بل قضية امة صودرت حريتها وحرمت من حقها وسلط عليها حكام منها ولكن لا ينتمون إليها فهو يتحدث عن قضيته إنسان سلطت عليه ألوان وأشكال من العذاب والجور والظلم والقهر والحرمان بفعل جهل وقساوة وجبروت هؤلاء الحكام الطغاة يحركهم جهلهم وغباؤهم وارتماؤهم في أحضان أسيادهم من المستعمرين وهو في شعره الساخر إنما يعبر عن الم يعتصر قلبه لما كان يعانيه شعبه في حقبة زمنية معينة من جور وظلم وهنا يصدق على شعره الساخر القول أن السخرية عنده هي حرفة إنسان يتعذب

في داخله (١٣) معبرا عن ألمه ولا أقول إن أحمد مصر لجأ إلى هذا الأسلوب أي التعبير عن ألمه لان رغباته الشخصية تتعارض مع رغبات وتطلعات المجتمع بل أقول أن العكس صحيح نتيجة أحمد مطر يعبر في شعره الساخر عن رغبات مجتمع وشعب غيبها طرف ثلث هو السلطة الجائرة ولكن يبقى عنصر (الألم) هو الدافع الأول المغذي لنبع الشعر وتكون السخرية المؤلمة الوسيلة الأولى للتعبير عن الألم إذ تتحول هذه السخرية إلى وسيلة لتخليص النفس من آلامها وتطهيرها كما يرى أرسطو [١٤].

إن شعر أحمد مطر جميعه يمثل قمة الالتزام الأدبي والأخلاقي اتجاه أمته وشعبه وشعره الساخر وهو يمثل اغلب شعره فصل مهم في هذا الالتزام ذلك لان أحمد مطر لا ينتمي لحزب أو فئة أو مجموعة أو كيان معين ولم يكن ملكا لأحد ولكنه ينتمي لأمة بكاملها فهو ملك لأمة مقهورة وهو لسان معبر عن آلام هذه الأمة وتطلعاتها فقد تخلى عن ذاته في شعره بعد أن دمجت قضيته بشخصية شعبه فصار يتحدث باسم الوطن والشعب والأمة على خلاف كل الشعراء السياسيين العرب الذي يبرزون في شخصياتهم ويؤكدونها من خلال أشعارهم [١٥]

وإذا كان هناك بروز للذات في شعره فهو بروز ينم عن تفاعل كبير بين ذاته التي تحمل قضية كبيرة وبين ذات شعبه وأمته إذ ينصهر الاثنان في بوتقة واحدة. ولولا هذا التفاعل الهادف لأصبح الشعر عبارة عن هتافات وتقارير وأخبار[١٦]

هذا الفرد في شعر أحمد مطر يهبه صفة العالمية ويجعله في عداد الشعراء العالمين الذين حملوا هموم الإنسانية ولم تحددهم حدود.

فهو على سبيل المثال يقول عن نفسه انه ينتمي إلى العراق الذي يمثل جزءا كبيرا من وطنه الممتد من المحيط إلى الخليج [١٧].

يقول[١٨]:

إنني لست لحزب أو جماعة
إنني لست لتيار شعارا
أو لدكان بضاعة
إنني الموجة تعلو حرة ما بين بين
وتقضي نحبها دوما
لكي تروي رمال الضفتين
وأنا الغيمة للأرض جميعا

❖ ❖ ❖

وأنا الريح المشاعة

فانتماؤه واضح وهو يؤكد هذا الانتماء فهو ينتمي إلى امة لا لحزب أو قبيلة أو سلطة معينة وهو ليس ناطقا بلسان حال قبيلة بل ناطق بلسان حال أمته كلها والإنسانية بأسرها وسحابة تروي العطاش من كل لون وجنس ومذهب [١٩].

وأحمد مطر على حد تعبيره يشكل دولة بلا شرطة ولا رقباء يرى الأشياء بعين صافية مجردة خالية من حَوَل الايدولوجيا أو مكاسب وأرباح الحزب أو المنظمة أو السلطة [٢٠].

وهو في شعره الساخر يعد مصلحا اجتماعيا كبيرا يقف في عداد المصلحين الكبار ذلك انه شخّص أدواء المجتمع وما كان يعانيه في ظل الحكام الفاسدين ووضع يده على أسبابها وطالب المعنيين من أفراد المجتمع أن يضعوا لها

الحلول ويعالجوها. وهذه الأمراض – كما وردت في شعره – كثيرة منها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها...وارى انه يلتقي مع الأديب الناقد مارون عبود الذي هالته كثرة الآفات العابثة بجسم المجتمع خاصة وان قسما كبيرا منها يعود إلى التردي السياسي فانبرى لمعالجتها بجرأة مذهلة ولسان لا يعرف المحاباة أو المهادنة لكنه لم يسلك مسلك الوعظ والإرشاد إنما شمر عن ذراعيه فتناول مبضع النقد بمهارة الجراح الاختصاصي ..[٢١].

وهو يلتقي معه في انه ناقد ساخر سخر من السياسة والسياسيين وموظفي الدولة وبين مساوئهم أمام الملأ منفرا المجتمع من مفاسدهم كالطمع والرشوة وإثارة النعرات الطائفية وإهمال البلاد وفساد القضاء والكذب على المواطن في مراسم الانتخابات [٢٢]ولكن لكل منهما أسلوبه في عرض تلك الأمور ولذلك فان السياسة الجائرة هي التي تنطق أحمد مطر فربما صمت شهورا لا يكتب بيتا واحدا بسبب هدوء رياح السياسة في العالم العربي . ولكنه عندما تشتد رياح السياسة ينشر في كل يوم قصيدة فهو – كما يقول شاكر النابلسي – ميزان حرارة الواقع العربي السياسي والنضالي [٢٣]وقد أكد ذلك الشاعر نفسه إذ قال [٢٤] من قصيدة عنوانها (دمعة على جثمان الحرية) :

أنا لا اكتب الأشعار
فالأشعار تكتبني
أريد الصمت كي أحيا
ولكن الذي ألقاه ينطقني

عوامل السخرية

كانت السياسة الجائرة في الدولة العراقية في الحقبة التي تفتحت بها عينا أحمد مطر على العالم من أهم العوامل التي فجرت طاقات الإبداع لدى

الشاعر إذ حول هذه الطاقات إلى شعر ساخر هادف أدى أكثر من دور فقد خدم المجتمع إذ عرى أركان السياسة واشر عيوبهم وزيفهم من جهة ونبه المجتمع إلى ضرورة الوعي وعدم الانخداع بلمعان السياسة الزائفة كما حقق هذا الشعر التوازن النفسي لدى الشاعر الذي كان يؤلمه تصرف السياسيين من جهة وانجراف كثير من أفراد المجتمع مع التيار الخادع الذي حاولت السلطة من خلاله جذب الكثيرين .

وقد ساعد هذا العاملُ عوامل أخرى صنعت من أحمد مطر شاعرا ساخرا منها شخصية التي تبدو من خلال شعره شخصية مفعمة بالحزن والأسى لأنه عاش في مجتمع عانى من قسوة حكامه ما جعله ينضح حزنا فكان يمزج السخرية بالحزن..وقد وجد من خلال استقرائه لواقع مجتمعه أن من يحسنون السخرية والإضحاك هم أكثر الناس امتلاء بالحزن فضحكه ضحك مر من شدة البكاء [٢٥].

وقد تكون سخرية أحمد مطر في جانب من جوانبها دفاعا عن الذات وإثباتا لآرائه ضد من يعتقد أنهم استخفوا بمبادئه ...فالشاعر يلجأ للسخرية لان الفئة الحاكمة تسحق الشاعر بلا مبالاة فيسحقها الشاعر بان يسخر منها ويحتقرها [٢٦]

فضلا عن ذلك فان الدوافع النفسية هي من أهم الأسباب للسخرية. فأي حاجة نفسية يمكن أن تكون دافعا للسخرية فالقلق وعدم الاطمئنان وملاحظة التناقضات في المجتمع عوامل فاعلة في هذا المجال .فالنقائض والمفارقات ألزم لوازم ملكة السخرية بعد دقة الملاحظة كما يرى العقاد[٢٧]فضلا عن ذلك فان الشاعر قد قرأ لشعراء ساخرين أمثال (زكريا تامر) الذي اشتهر بنقده الواقع

بسخرية مريرة لاذعة[٢٨] مما أوقد شعلة السخرية في نفسه . فضلا عما يراه من تخاذل فئات من المجتمع أمام السلطة وسيرهم في فلكها ومساندتها

موضوعات السخرية

١- السخرية من أساليب السلطة وممارساتها .

٢- السخرية من الحكام .

٣- السخرية من الزمن .

وسنعرض هذه الألوان في شعره ونماذج من صوره الساخرة .

المبحث الأول

السخرية من أساليب السلطة وممارساتها

مرّ العراق في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي بحقبة زمنية لم يشهد لها مثيلا في تاريخه القديم والمعاصر فقد مورست أشكال الظلم والقهر والجبروت ضد شعبه – الأعزل من كل شيء عدا إيمانه بدينه ووطنه – في ظل حكومة تدعي الوطنية ولكنها جائرة مارست ألوان القهر ضد شعبها وباسم الحرية والديمقراطية وباسم الدين ، فقد غررت بكثير من أبناء هذا الشعب وخدعت آخرين ولكن أصحاب العقول والمفكرين لم ينطل عليهم اللعبة فقد قارعوها بالكلمة المقاتلة ولا سيما الشعراء والمفكرين الاصلاء وأصحاب الأقلام الحرة النبيلة وان كان هناك من الشعراء وأصحاب الأقلام من سخر نفسه لخدمة هذه السلطة . وكان شاعرنا أحمد مطر من ابرز هؤلاء الشعراء المناهضين لهذه السلطة ولاشباها في الوطن العربي مما كلفه أن يهجر الوطن ويعيش حياة الغربة بعيدا عنه ألاف الأميال قريبا منه على مرمى حجر .

لقد دبَّج أحمد مطر صورا رائعة في شعره عن أساليب السلطة الجائرة ورسم صورا مثيرة وهي في أكثرها تتحدث عن حقائق واقعية عاشها الشعب

ولمسها مما أعطى هذه الصور سمة الإعجاب والإثارة والقبول من لدن القارئ والمتلقي لان كثيرا منهم قد لمس أو شاهد أو اكتوى ببعضها ، وشاعرنا أول المناهضين الذي ارتأى أن يكتب شعره بالرصاص وليس بالجبر فلا مناص من ذلك لان بلطة الجزار لا يذبحها قطر الندى إذ قال في مقطوعته التي سماها البيان الأول في لافتات ١٩٨٧/٣[٢٩].

قلمي في لجة الحبر اختنق
وطفت جثته فوق الورق

❖ ❖ ❖

ودمي في دمه ضاع سدى
ومضى العمر ولم يأت الخلاص
آه يا عصر القصاص
بلطة الجزار لا يذبحها قطر الندى
لا مناص
آن لي أن اترك الحبر
وان اكتب شعري بالرصاص

× × ×

فالحاكم جزار يتقلد (بلطة)
بهذه السخرية العنيفة بقابل الشاعر عنف الحاكم .

ولمَ لا فقد صودرت الحريات ، حرية الفكر ، وحرية الرأي وحرية التعبير وحرية المعتقد وأصبحت هذه كلها جثامين شعيها الشعب – دون أن يدري – إلى مثواها الأخير إذ قال (٣٠) من قصيدة عنوانها (دمعة على جثمان الحرية)

أ أ كتب أنني حرٌ

وحتى الحرف يرسف بالعبودية ؟
لقد شيعت فاتنة
تسمى في بلاد العرب تخريبا
وإرهابا
وطعنا في القوانين الإلهية
ولكن اسمها والله
لكن اسمها في الأصل
حرية

الحرية التي صادرتها السلطة والتي تُسمى في بلاد العرب تخريبا وإرهابا وطعنا في القوانين الإلهية هي في حقيقة الأمر(فاتنة) بكل ما تعني الكلمة من معنى – في نظر الشاعر وهي كذلك . وهنا تكمن السخرية من السلطة في هذه المفارقة البعيدة بين رأيه ورأي السلطة .

وبعد أن تسلب حرية الشعب بأنواعها يفقد الشعب كل شيء فلا رأي له ولا كلمة ولا قرار أمام تمادي حكامه الجائرين. الذين مارسوا أنواعا من الجور يعرضها الشاعر -ساخرا منها- في بعض قصائده من ذلك قوله [٣١] وهو يتحدث عن حالة كثر حدوثها بين أفراد الشعب وهي أن السلطة في كثير من الأحيان قد تتهم شخصا بدون تهمة ثم تحبسه وتعذبه وتستنطقه.

ولما لم تحصل على أي اعتراف منه حين ذاك تقتله، ثم تبرأه بعد مدة من الزمن لأنه ليس المقصود هو وإنما (أخوه) وعندما تذهب لاعتقال أخيه تجده ميتا لأنه مات حزنا على أخيه.

حبسوه
قبل أن يتهموه

عذبوه قبل أن يستجوبوه
اطفأوا سيجارة في مقلتيه
عرضوا بعض التصاوير عليه
قل ...لمن هذي الوجوه؟
قال : لا أبصر قصوا شفتيه
طلبوا منه اعترافا
لم يقل شيئا
ولما عجزوا أن ينطقوه
شنقوه...

❖ ❖ ❖

بعد شهر برأوه

أدركوا أن الفتى ليس هو المطلوب أصلا
بل أخوه
ومضوا نحو الأخ الثاني
ولكن وجدوه
ميتا من شدة الحزن
فلم يعتقلوه

ويعرض الشاعر صورا ساخرة أخرى لأساليب السلطة التي جندت طاقات معينة للتجسس على الشعب وراحت بعد ذلك تختلق طرقا وأساليب ملتوية وتفتعل أشياء لا أساس لها تحاسب عليها بعض الناس وهم منها براء بل ليس في مقدورهم أن يفعلوا منها شيئا. فكيف يلقي الأبكم خطابا في النادي، وكيف يتلو قصائد في المقهى بل كيف ينقد السلطة يقول[٣٢] :

ألقيت خطابا في النادي
وتلوتَ قصائد في المقهى
ونقدتَ السلطة في المطعم
هل تحسب أنا لا نعلم ؟!

ليس هذا فقط بل لقد حاور هذا (الأبكم) مذيعا غربيا، وعرض تصريحا مبهما عن غباوة القائد الملهم يقول[٣٣]:

في يوم كذا
حاورتَ مذيعا غربيا
وعرضتَ بتصريح مبهم
لغباوة قائدنا الملهم
هل تحسب انا لا نعلم ..؟!

❖ ❖ ❖

هذي أمثلة والخافي أعظم
إن ملفك هذا متخم
هل عندك أقوال أخرى ...؟
لا تكتم
دافع عن نفسك أو تعدم
لا تتكلم أفعل ما تهوى ...لجهنم
شنق الأبكم !

كل هذه الاتهامات وجهت لشخص أبكم لا يستطيع الكلام. فالسخرية اللاذعة تكمن هنا في ان هذه الاتهامات جميعها أعمال تتطلب من فاعلها النطق والتكلم ولكن المتهم أبكم ، فالشاعر هنا يعرض صوره الساخرة بهذا

الأسلوب الذي يقوم على المفارقة الكبيرة والتضاد بين شيئين لا يمكن ان يتفقا فالكلام وإلقاء القصائد والخطاب ونقد السلطة وعرض تصرح لقائد غبي لا يمكن ان يصدر من رجل (أبكم) ومع كل ذلك يشنق هذا (الأبكم)...سخرية تدعو للضحك والتساؤل وعليك ان تصور صورة القارئ حين يقرأ مثل هذا الشعر حين يضحك ساخرا ومندهشا نهاية الأمر ولكن هذه السخرية تَدلهُ على ممارسة من ممارسات السلطة ليحذر منها .

وهنا أمر آخر في هذه السخرية لافت للنظر وهو ان جواسيس السلطة منتشرون في النادي والمقهى والمطعم يتصيدون في الماء العكر ناصبين شباكهم لاصطياد الناس والإطاحة بهم

إنها سخرية تبعث الوعي والانتباه في ذهن القارئ والسامع لكي يتجنب خطر السلطة الغاشمة.

وتبلغ السخرية من أساليب السلطة مدى كبيرا حين يعدم الإنسان لان كلب الوالي عضّه وتسمم فمات

يقول في قصيدة عنوانها (التقرير) [٣٤]

كلب والينا المعظمْ
عضني اليوم ومات
فدعاني حارس الأمن لأعدمْ
بعدما اثبت تقريرُ الوفاة
ان كلب السيد الوالي
تسمم!

وصورة أخرى يرسم فيها حالة الشعب المضطهد تحت سياط جلاديه حين يكون نصف الشعب داخل السجن والنصف الآخر خارج السجن ولكنه

سجين، ويسلب منه كل شيء حتى التعبير عن الألم بواسطة (الأنين) وكذلك ما يخفى في الأعماق من (حنين) وليس هناك مفر من الموت إلا الموت ويكون التساؤل عن الخلاص وكيف ؟ والحاكم يقتل حتى الميتين يقول في قصيدة عنوانها أين يمضي ؟ (٣٥).

غص ما تحت السماوات وفوق الارضين
بعيون المخبرين

❖ ❖ ❖

بعضنا في داخل السجن
ونصف خارج السجن سجينْ!
لم نعد نملك ما نبديه من أصواتنا
حين الأنين !
لم نعد نملك ما نخفيه في أعماقنا
حتى الحنين ....
رب لم يبقِ لنا في بلد الموت
سوى الموت من الموت مفر
رب لكن العساكر
نسفوا كل المقابر

❖ ❖ ❖

أين يمضي ولدينا حاكم يقتل حتى الميتين ؟!

هذه سخرية تثير الاستغراب حين نقتل الحاكم الميتين وكأن القضية تدعونا إلى ان تتذكر التاريخ الذي يروي لنا ان العباسيين نبشوا قبور الأمويين

واحرقوا جثثهم وهو تأكيد على ان أساليب الحكام الجائرين واحدة على مدى التاريخ .

الحقيقة الثانية التي نستشفها من القصيدة الأولى مارة الذكر هي ان الإنسان لا قيمة له في ظل أنظمة الجور فقيمته تساوي قيمة كلب الوالي فقد اعدم الإنسان لان كلب الوالي قد مات لا بل اقل من ذلك لان لكلب الوالي كان هو المعتدي ولم يكن للإنسان ذنب يؤخذ به .

مما يزيد في استحسان صور احمد مطر الساخرة ، انه يعبر عن حقائق واقعية ملموسة لها صدى كبير على ارض الواقع ، وان كثيرا من الناس يعرف هذه الحقائق وربما شاهد بعضها وهي كثيرة شائعة في تاريخ الطغاة على مر التاريخ واحمد مطر يجسد هذه الوقائع على شكل صور شعرية ساخرة معبرة ذات أهداف فاعلة . من دون ان يخونه التعبير الفني .

وسخرية احمد مطر تبدو محيرة كحيرته أمام أساليب السلطة وجورها إذ يتحول الإنسان في هذه الأوطان إلى اضبارة تحتوي كل شيء ولكن غلافها (جلد بشر) فالإنسان في هذه الأوطان معتقل منذ صغره ومعتقله هو جلده ان يتحول هذا الجلد إلى سجن ضيق لا يستطيع الإنسان ان يتحرك داخله .

يقول [٣٦]:

المرء في أوطاننا
معتقل في جلده منذ الصغر
وتحت كل قطرة من دمه
مختبئ كلب اشر
بصماته لها صور
أنفاسه لها صور

أحلامه لها صور
المرء في أوطاننا
ليس سوى اضبارة
غلافها جلد بشر
أين المفر؟

ويبلغ تمادي السلطة في التسلط والجبروت حين يتحول الوطن إلى قيامة ليس فيها جنة وإنما نار فقط وهذه النار من نوع (سقر) والمرء فيها مذنب وذنبه لا يغتفر يقول[٣٧]:

أوطاننا قيامة
لا تحتوي غير سقر
والمرء فيها مذنب
وذنبه لا يغتفر

المفارقة الكبيرة هنا التي تخلق السخرية هي ان القيامة ليس فيها إلا سقر ويستمر الشاعر في رسم سياسة السلطة الحاكمة حين تسخّر هذه السلطة قانون (القضاء والقدر) ليكون مصيدة قاتلة بيدها .

يقول مصورا حالة الإنسان :

إذا أحس أو شعر
يشنقه الوالي قضاء وقدر
إذا نظر
تدهسه سيارة القصر قضاء وقدر
إذا شكا
يوضع في شرابه سم قضاء وقدر

❖ ❖ ❖

يا ربنا لا تلم الميت في أوطاننا إذا انتحر
فكل شيء عندنا مؤمم
حتى القضاء القدر

وهنا تكمن السخرية المريرة حين ينتحر الميت ففي هذا الوطن حتى الموتى لا يطيقون الحياة.

ويبلغ تمادي السلطة ليشمل الوطن والشعب كافة يقول احمد مطر في قصيدة بعنوان (الطفل الأعمى) [٣٨]:

وطني طفل كفيف
وضعيف
كان يمشي آخر الليل
وفي حوزته
ماء وزيت ورغيف
فرآه اللص وانهال بسكين عليه
وتوارى
بعدما استولى على ما في يديه

❖ ❖ ❖

وطني مازال ملقى
مهملا فوق الرصيف
غارقا في سكرات الموت
والوالي هو السكين
والشعب نزيف !

تتمادى السلطة في أساليبها التعسفية لستبيح هذا الوطن الوديع وما به من خيرات فتلقيه ذبيحا على الرصيف يعاني سكرات الموت ومن يشفع له إذا كان الحاكم هو القاتل وأهل الوطن نزيف مسكوب .

وتبلغ سخرية احمد مطر من أساليب السلطة وجورها حد البكاء والحزن فالمحزنون أكثر الناس سخرية، هذه الحالة نرى في إحدى قصائده حين يعرض قضية شعبه الذي اخذ الجوع والفقر منه مأخذه وصار في تعبيرنا (العامي) (قاعد على الحديدة) وهو في الوقت نفسه يجاور آباره التي (تنزف نارا ودما للام البعيدة) والشعب بجوارها يُطعم جوع النار ولكنه يجوع ...ويستضيء بالدجى بالبدر والشموع ليقرأ القرآن والجريدة الوحيدة .

ولكن بعد عرض حالة الشعب هذه ، يصدر القرار في الجريرة أن قررت الحكومة الرشيدة ، ان لكل أسرة حديدة جديدة .

يقول : في قصيدة عنوانها مكسب شعبي[٣٩]

آبارنا الشهيدة
تنزف نارا ودما
للأمم البعيدة
ونحن في جوارها
نُطعمُ جوع نارها
لكننا نجوع ...
ونستضيء في الدجى
بالبدر والشموع
كي نقرأ القرآن
والجريدة الوحيدة

حملت شكوى الشعب في قصيدتي
لحارس العقيدة
قلت له : شعبك يا سيدنا
صار (على الحديدة)
تهرأت من تحته الحديدة
قد أكل الحديدة

❖❖❖

وبعد يوم
صدر القرار في الجريدة
ان تصرف الحكومة الرشيدة
لكل رب أسرة
حديدة جديدة

المبحث الثاني

السخرية من الحكام

وكما سخر أحمد مطر وأساليبها سخر أيضا من الحكام أنفسهم سخر من جهلهم وتخلفهم ومن قسوتهم وجبروتهم هذه صورة أخرى مثيرة يكشف فيها الشاعر عن جهل أصحاب السلطة وتخلفهم حين يقدم مخبر السلطة وهو رجل الأمن السري على اعتقال طالب يدرس في كلية الطب وذلك لأنه سمع ان الطالب يقرأ عن (الخلية) والمقصود بها الخلية في جسم الكائن الحي فظن هذا المخبر انه يقرأ عن (الخلية الحزبية) فاعتقد ان لديه حزبا معارضا فأقدم على اعتقاله حتى مات في السجن ولكن اخبر صاحبه انه مات بالسكتة القلبية مع العلم ان في جسمه من الآثار ما يؤكد موته بالتعذيب يقول:[٤٠]

لي صاحب
يدرس في الكلية الطبية
تأكد الخبر من ميوله الحزبية
وقام باعتقاله
حين رآه مرة
يقرأ عن تكوّن الخلية

❖ ❖ ❖

وبعد يوم واحد أخرج عن جثته
بحالة أمنية
في رأسه رفسة بندقية
في صدره قبلة بندقية
في ظهره صورة بندقية
لكنني
حين سالت حارس الرعية
عن أمره
اخبرني
ان وفاة صاحبي قد حدثت
بالسكتة القلبية

ومثلما سخر احمد مطر من جهل الحكام سخر كذلك من الحكام أنفسهم ونعتهم نعوتا نشم منها رائحة السخرية اللاذعة وهو كديدنه في سخريته لا يقصد الإضحاك واللهو لا بل هو جاد متحمس وسخريته هادفة ، وهي سخرية تفجر وجدان القارئ وتثير انفعاله موجدةً وثورةً ضد أساليب هؤلاء

الطغاة . يقول في قصيدة عنوانها (حالات) متهما فيها الحكام العرب بأنهم لصوص تربعوا على عرش البلاد يقول [٤١] :

بالتمادي
يصبح اللص بأوربا
مديرا للنوادي
مديرا للعصابات وأوكار الفسادْ
وبأوطاني التي من شرعها قطع الأيادي [٤٢]
يصبح اللصُ
رئيسا للبلاد

والمفارقة تكمن بين مكانة اللص في أوربا وأمريكا من جهة ومكانة اللص في بلداننا العربية التي تدين بالإسلام وتحكم بشرعه من جهة أخرى، فالشرع الإسلامي يحكم على السارق بعد المسآلة ومعرفة الأسباب بقطع الكف ، ولكن الذي نلاحظ في الوقت الحاضر ان اللص يصبح زعيما للبلاد.

وهذه صورة أخرى من صور السخرية في شعر احمد مطر يقارن فيها بين من يرتضون ان يكونوا خدما للاستعمار ذليلين وبين أحمرة رفضت ان خدمة للاستعمار – بعد ان رأت الدول الكبرى ان تبدل الأدوار فأقرت إعفاء الوالي وتعيين حمار – إذ رأت ان الولاء للدول الكبرى هو ذل وعار يقول[٤٣]:

فأقرت إعفاء الوالي
واقترحت تعيين حمارْ
ولدى توقيع الإقرار
نهقت كل حمير الأرض باستنكارْ
نحن حمير الدنيا لا نرفض ان نتعب

أو ان نُركبْ
أو أن نُضربْ
أو حتى ان نُصلبْ
لكن نرفض في اصرارْ
ان نغدو خدما للاستعمارْ
ان جمهوريتنا تأبى
ان يلحقنا هذا العار

فالمقارنة بين أجمرة وبين حكام. ترفض الاحمرة ان تكون ولاة ويقبل الحكام ان يكونوا ولاة للاستعمار هذه مفارقة كبيرة ولكن الشاعر يعلل لك ذلك ويعطيك السبب ذلك ان الاحمرة رأت ذلك عارا فلم تقبل به ويلاحظ في قصيدته هذه حضور الصورة الكاريكاتيرية المعبرة المتمثلة في الاحمرة الرافضة وفي قصيدة أخرى ينعت الحكام بهذه النعوت فهم كلاب لا يهمهم شتم الشعب لهم وهم مجموعة أوساخ وهم بغايا لا يهمها إذا سميتموهن (قحاب) وهم دمى ورقية فوق عروش من ورق لا يؤثر فيهم إلا ان تشعل عروشهم الورقية بعيدان ثقاب يقول [٤٤]:

السلاطين كلاب
اشتموا منذ حلول الليل حتى الفجر
لن يهتز كرسي
ولن ينهار باب

❖ ❖ ❖

إن البغايا ليس يخجلن ، إذا سميتموهنَّ قحاب

❖ ❖ ❖

السلاطين دمى من ورق
فوق عروش من ورق
تحتها النفط انذلق
بدلا من أن تلعنوهم
أشعلوا عود ثقاب

ومرة يسمى الحاكم جلدا تصنع منه الأحذية يقول [٤٥]:

حتى إذا ما حانت الساعة
وانقضت عليه القاضية
واستلمته من يدي أيدي الجموع الحافية
يكون جلدا جاهزا
تصنع منه الأحذية .

وفي قصيدة عنوانها شؤون داخلية[٤٦] يرسم صورة للواقع العربي الممزق ولحكامه الذين يسميهم (جزارين) وصورة للتدخل الأمريكي في الوطن العربي يقول:

وطني ثوب مرقعْ
كل جزء فيه مصنوع بمصنعْ

❖ ❖ ❖

وطني عشرون جزارا
يسوقون إلى المسلخ قطعان خراف آدمية
وإذا القطعان راحت تتذرعْ
لم تجد عينا ترى
أو أُذنا من خارج المسلخ تسمعْ

فطقوس الذبح شأن داخلي
والأصول الدولية
تمنع المس بأوضاع البلاد الداخلية
إنما تسمح ان تدخل أمريكا علينا
في شؤون السلم والحرب
وفي السلب وفي النهب
وفي البيت وفي الدرب

❖ ❖ ❖

وحتى في الثياب الداخلية

❖ ❖ ❖

وإذا لم يبقَ من كل أراضينا
سوى مترٍ مربعْ
يسع الكرسيَّ والوالي
فان الوضع في خير وأمريكا سخيّة

❖ ❖ ❖

فبحق البيت والبيت المقنع

❖ ❖ ❖

أعطنا يا رب جنسية أمريكا
لكي نحيا كراما
في البلاد العربية

والملاحظ في صور احمد مطر الساخرة في اغلبها انه حين يعرض قضية أو صورة لحالة معينة سواء في ممارسات السلطة أو جبروت الحكام وفي صوره

القائمة على المفارقة أو المقارنة أو عرض الحقائق الواقعية المثيرة انه في كل هذه الحالات لا يتركه ما يعرضه من مشاكل وعقد وإنما يحاول ان يعطيك الحل المناسب ففي القصيدة أعلاه يقول في آخرها

أعطنا يا رب جنسية أمريكا لكي نحيا كراما في البلاد العربية وهو حل ساخر أيضا يلائم ما يعرضه من وصوره الساخرة .

في قصيدته (هتاف الرحى)

بعد أن يعرض حالة ملموسة في البلاد العربية إذ تسقط حكومة وتأتي بعدها حكومة والشعب يهتف بسقوط الذاهب وحياة الآتي وكأن المسألة تشبه الرحى التي تهتف للبذر الذي تحمله وتنبذ البذر السابق بين (قشر وجريش) وتبقى هي (رحى) فكذا حالة الشعب يبقى هو الشعب وتتهاوى العروش فالعروش ريش والجماهير رياح . يقول [٤٧]:

في بلادي
ثورة تدفن ثورة
جرة تكسر جرة
والهتافات بأفواه الجماهير تجيشْ
كل مرة يسقط الذاهب
والآتي يعيشْ

❖ ❖ ❖

والرحى تبقى رحى
والبذر من بعد الهتافات يطيشْ
بين قشر ...وجريشْ

❖ ❖ ❖

صحوة الطاغوت خمر
والهتافات حشيش
آه لو ألقى على التاريخ نظرةْ

❖ ❖ ❖

لرأى ان الجماهير رياحٌ
وعروش الظلم ريشْ
ولألفى كل فصل دموي
ينتهي دوما بفقرةْ
يسقط الحاكم والشعب يعيش

وهو في نهاية القصيدة يقر حقيقة ثابتة يقرها المنطق ويسندها التاريخ إذ ان الشعوب باقية والحكام ذاهبون .

المبحث الثالث

السخرية من الزمن

ومثلما سخر احمد مطر من السلطة وأساليبها الجائرة والحكام فقد سخر من الزمن الذي غفل عن هؤلاء الحكام فجعلهم يتربعون على كراسي الحكم ويتلاعبون بمقدرات الشعوب .

فالزمن هو الوعاء الذي استوعب أفعال هؤلاء الحكام واساليبهم في قيادة البلاد بما تحمل هذه الافعال من ظلم وجور وتعسف واضطهاد وتهميش للاخر وغير ذلك من صور القهر والحرمان .

وفي ضوء هذا الكلام يكون العامل السياسي هو الذي فجر طاقات احمد مطر الشعرية ضد الزمن الخؤون وتقلباته وجوره وقد ساعد على ذلك ما كان الشاعر يتمتع به من طاقات ابداعية خلاقة وعقلية راجحة رأى فيها انه قد

حرم كما حرم ابناء شعبه الاخرون – من ممارسة استحقاقه في الحياة على وفق ما يتمتع به من قابليات عالية في الوقت الذي شاء الزمن ان يرفع هؤلاء الجائرين إلى مكانات عالية لم يكونوا اهلا لها ومكنهم من قهر المبدعين واصحاب القدرات الخلاقة .

يصف احمد مطر الزمن الذي يعيشه انه زمن تسلط العبيد على الأحرار ويسميه (زمن الأحرار) سخرية منه كعادته في اسلوبه الساخر الذي تشكل المفارقة فيه العمود الفقري يقول [٤٨]:

في زمن الأحرار
أصابعي تخاف من أظفاري
دفاتري تخاف من أشعاري
ومقلتي تخاف من أبصاري !
فكرت في التفكير بالفرارِ
من مدني
لكنني خشيت من وشاية الأفكارِ

أيُّ زمن هذا الذي يخشى الإنسان من وشاية أفكاره؟ وأي زمن هذا الذي تخاف فيه الدفاتر من الأشعار والمقل من الأبصار ؟.

فهو زمن يكون فيه الإنسان المتمسك بمبادئه كأنه قابض على الجمر ،زمن يسيطر فيه العبيد على الأحرار يقول[٤٩]:

في زمن القبض على الجمر
وسطوة العبد على الحر
والقهر في الجو
وفي البر

وفي البحر
قرأت شعري صامتا
كتبته في صفحة البدر
لكنني خشيت من وشاية البدر !

وهو زمن تجهض فيه المدن كما تجهض الحبالى ويبيع فيه الشعراء جثثهم ليشتروا قصائدهم يقول [٥٠]:

مدينتي المثلى
آنسة حبلى
تجهض كل ساعة طفلا
أبيع فيها جثتي
كي اشتري قصيدتي

انه عصر السحق والعصر يكون فيه عمر الشاعر الحر الممتد بين الرحم والقبر بيتُ شعر مخالف لآراء الحاكم يقول[٥١]:

بعصر السحق والعصر
إذا اصبحتُ في يوم
اشك بانني غيري
واني هارب مني

❖ ❖ ❖

إذا ما عدت الاعمال
بالنعمى ...وباليسر
فعمري ليس من عمري
لاني شاعر حرٌ

يمتدُ عمر الشاعر الحر
إلى اقصاه بين الرحم والقبر
على بيت من الشعر

ومن الجدير ذكره ان سخرية احمد مطر من الزمن واشكاله المتمثلة بالدهر والايام وغيرها إنما تتجلى في السخرية من الحكام ورجال الدولة ومن ممارساتهم غير المشروعة تجاه شعوبهم .

وتقع هذه السخرية في اطار التذمر من الزمن لان الشاعر لا يستطيع الثورة والثأر من هذا الزمن وصروفه وإنما يتأملها ويستغرب منها .

وهو في كل ذلك يهدف إلى الثورة على الواقع وتغييره هذا الواقع الذي اختلت فيه القيم وارتبكت فيه المقاييس فارتفع فيه الجهلاء وهبط العباقرة والمبدعون فهو على سبيل المثال بنعت هؤلاء الحكام نعوتا كثيرة كقوله [٥٢]:

وانا اعرف ذنبي
أنني
حاجتي صارت لدى كلب
وما قلت له : يا سيدي ؟
ويقول ناعتا لهم بهذا النعت [٥٣]
السلاطين كلاب
السلاطين كلاب
اشتموا منذ حلول الليل حتى الفجر
لن يهتز كرسي
ولن ينهار باب
ويسميهم كذلك (بغايا)

ان البغايا ليس يخجلن
إذا سميتموهن قحاب
السلاطين كلاب
ويْحكم كفوا
فانتم لا تهينون السلاطين بهذا الوصف
بل انتم تهينون الكلاب

ومن نعوته لهم انه يسمي الحاكم (جحشا) يقول[٥٤]:

أوسع الحكام علما
لو مشى في طلب العلم إلى الصين
لما افلح ان يصبح جحشا

ويلوم الشاعر الزمن لأنه مفتون بالأغبياء الذين لا يفقهون شيئا ولا يعلمون إلا ما يدور حول كراسي الحكم وكأني به يذكرني بالشاعر احمد الصافي الذي يقول [٥٥]:

لو لم يكن دهرنا أغبى الدهور حجا
تالله ما كان مفتونا بكل غبي

وفي الحقيقة ان السخرية من الزمن وصروفه يقع في اطار النقد الاجتماعي والسياسي وهي وثيقة الصلة بالحياة والمجتمع لان احمد مطر في سخريته – كما مر بنا – إنما يعالج واقعا اجتماعيا وسياسيا متهرئا في ظل أنظمة غاشمة .

وإزاء كل هذا البرم بالحكام والانظمة وبالممارسات غير الصحيحة يدعو كل شاعر ان تكون قصيدته قنبلة بوجه الحاكمين الاجراء . يقول [٥٦] :

في زمن الآتين للحكم
على دبابة أجيرة

أو ناقة العشيرة
لعنتُ كل شاعرٍ
لا يقتني قنبلةً
كي يكتب القصيدة الأخيرة

هذه ثلاثة موضوعات عرضها احمد مطر ورسم لها صورا رائعة تنمّ عن عقلية فاحصة متدبرة لما يجري ي مجتمعنا العربي على أيدي جلاديه بأسلوب ساخر هادف.

المبحث الرابع
أسلوب المفارقة

يكتب احمد مطر القصيدة القصيرة التي يمكن أن تسمّى بالقصيدة اليومية بغض النظر عن الزمن الذي تكتب فيه هذه القصيدة سواء أكان طويلا أم قصيرا وهو على الأرجح زمن يتناسب مع حجم القصيدة تلك التي تقوم على فكرة بسيطة وسريعة وهذه القصيدة تبنى على محاور كثيرة كمحور (السرد) والمحور الكاريكاتيري ولكن أسلوب المفارقة من أكثر هذه المحاور فاعلية واستخداما في شعر احمد مطر الساخر .

١- المفارقة الحادة

تتمثل المفارقة في سخرية احمد مطر بمفاجئة القارئ بالبعد الكبير بين ما يقوله في أول القصيدة من فكرة معينة وبين ما تبلغه هذه الفكرة في نهاية القصيدة من معنى يخالف ما ذكره في أول القصيدة فالتكامل التصويري في قصيدة السخرية لا يقوم على التماثل والتشابه بين أطراف الصورة بل ان التضاد هو القاسم المشترك في سخرية احمد مطر أي التضاد في المعاني والنتائج إذ يكسب هذا الأسلوب القصيدة الساخرة صفة المفاجأة

والاستغراب ويجعل المتلقي مندهشا من غرابة الصورة والجمع بين أطرافها المتناقضة إذ تصدق هنا مقولة (الانسجام في اللا انسجام) لأنها أي القصيدة الساخرة عند احمد مطر تعطيك صورة ذات معنى ومذاق خاص حيث تبلغ السخرية مداها الأرحب عن طريق هذا الأسلوب ففي قصيدته (إصلاح زراعي) يقول : (٥٧)

قرر الحاكم إصلاح الزراعة
عيّن الفلاح شرطي مرور
وابنة الفلاح بياعة فول
وابنه نادل مقهى
في نقابات الصناعة
وأخيرا
عيّن المحراث في القسم الفولوكلوري
والثور ... مديرا للإذاعة

❖ ❖ ❖

قفزةٌ نوعية في الاقتصاد
أصبحت بلدتنا الأولى
بتصدير الجراد
وبإنتاج المجاعة

فالشاعر قد بدأ قصيدة بقرار الحاكم (إصلاح الزراعة) والمتوقع بعد هذا ان بذكر الشاعر أشياء تؤيد هذا المعنى ولكن كل ما ذكره من أفعال قام بها الحاكم لا تصب في هذا المعنى بل تعاكسه إما النتيجة أو النهاية فكانت عكس البداية تماما فالبداية (إصلاح) الزراعة والنهاية (تصدير الجراد) (وإنتاج

المجاعة) هذه مفارقة كبيرة بين طرفي الصورة ولكن الشاعر بلغ فيها المدى في مجال السخرية

وفي قصيدته (الرجل المناسب) [٥٨]

باسم والينا المبجل
قرروا شنق الذي اختال أخي
لكنه كان قصيرا
فمضى الجلاد يسألْ
رأسه لا يصل الحبلَ
فماذا سوف أفعلْ؟
بعد تفكير عميقْ
أمر الوالي بشنقي بدلا منه
لأني كنتُ أطول .

يلاحظ انه ابتدأ القصيدة بقرار الوالي المبجل بشنق من اغتال أخا (الشاعر) ولكنها انتهت بقوله : أمر الوالي بشنقي بدلا منه ، لأني كنت أطول فالنهاية لا تشبه البداية والمجرم الذي ارتكب جرم القتل خلص من العقاب وقد نال العقاب بريئا لم يرتكب جرما، والوالي المبجل الذي اصدر حكمه بالقصاص من المجرم صار في النهاية ظالما

وبهذه المتضادات يبلغ الشاعر درجة عالية في سخريته الهادفة سواء في المضمون أم في المستوى الإبداعي الفني.

وفي قصيدته (هذه الأرض لنا) [٥٩]

يا شرفاءُ
هذه الأرض لنا

الزرع فوقها لنا
والنفط تحتها لنا
وكل ما فيها بماضيها وآتيها لنا
فما لنا
في البرد لا نلبس إلا عرينا ؟
في الجوع لا نأكل إلا جوعنا ؟
وما لنا نغرق وسط القار
في هذه الآبار
لكي نصوغ فقرنا
دفئا ، وزادا ، وغنى
من اجل أولاد الزنى ؟.

يبدأ القصيدة بـ (يا شرفاء) وينهيها بـ (من اجل أولاد الزنى) هذه مفارقة حادة ...وبين دفتي القصيدة أشياء متضادة في بدايتها الأرض والزرع ، والنفط وكل ما في الأرض لنا في الماضي والمستقبل ولكن يقابل هذا كله صورة العُري ، والجوع والعمل الجاد في آبار البترول لكي يضوع الفقر دفئا والجوع زادا من اجل أولاد الزنى (الاستعمار وأذنابه).

فالقصيدة تحمل مفارقة حادة وتناقضا كبيرا ولكنها تعالج واقعا مريرا يعيشه شعب مغلوب على أمره . ومثل هذا كثير في قصائده التي مرت في أثناء البحث

وتجد في نماذج أخرى المفارقة تتخلل اشطر القصيدة فتراها تأتي بين شطرين أو أكثر وتتكرر خلال القصيدة أكثر من مرة كما في قوله [٦٠] الذي يتحدث فيه عن المشكلة الاقتصادية وحالة الفقر التي يعاني منها الشعب

الأسى آسٍ لما نلقاه
والحزن حزين
نزرع الأرض ... ونغفو جائعين
نحمل الماء ... ونمشي ظامئين
نخرج النفط
ولا دفء ولا ضوء لنا

❖ ❖ ❖

وأمير المؤمنين
منصف في قسمة المال
فنصف لجواريه
ونصف لذويه الجائرين
وابنه وهو جنين
يتقاضى راتبا
أكبر من راتب أهلي أجمعين
في مدى عشر سنين

فالمفارقة حاصلة في أكثر من شطر .نزرع الأرض ...ونغفو جائعين ونحمل الماء ... ونمشي ظامئين ... وبين إنصاف الأمير وقسمته المال بين جواريه وذويه الجائرين ...الخ

وهو في كل ذلك يهدف إلى الفات انتباه القارئ والسامع إلى قضية جوهرية تمس حياته وهي الظلم وعدم الإنصاف في تقسيم الثروة .

الخاتمة ونتائج البحث

١- إن شعر احمد مطر الساخر لم يكن شعرا عابثا أو شعرا يكتب من اجل اللهو والضحك وإنما هو شعر ساخر هادف يحمل في مجمله قضية سياسية إنسانية عاشها شعب محروم ، وهي تجربة تكررت على مدى الزمن ما زال هناك سلطات جائرة وشعوب مقهورة .

٢- احمد مطر في شعره الساخر كان يعرض مشكلات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية وإنسانية وكان يضع لها الحلول الناجعة لمعالجتها ففي كل قصيدة مشكلة وعلاج.

٣- شعر احمد مطر الساخر يكاد يخلو من العاطفة بسبب جديته وثوريته ومعالجته لموضوعات هادفة ولكنه تنتظمه عاطفة حماسية ثورية صادقة فهي ليست عاطفة وردية ناعمة كعاطفة الحب .

٤- الخيال الشعري عند احمد مطر ليس خيالا سائبا بل هو خيال مرتبط بهدف وقضية والصورة التي يرسمها في شعره الساخر الهادف صورة قريبة من الواقع دائما لأنها نابعة من القضية التي يعالجها في قصائده وهي قضية واقعية في اغلب الأحيان وهو لا يتحدث عن تجارب عاطفية وردية وإنما يتحدث عن تجارب قاسية مؤثرة.

٥- القصيدة الساخرة عند احمد مطر هي من نوع القصيدة اليومية القصيرة. في الغالب تمتاز بسهولتها ورشاقتها ولغتها الجملية وهي يمكن ان نقول عنها إنها خبز يومي يحلو للجميع تناوله وهي على الرغم من سهولتها إلا أنها تبتعد عن التقريرية والمباشرة وتلتزم بمقومات الإبداع الفني في الشعر.

٦- يلاحظ في شعر احمد مطر وفي شعره الساخر على وجه الخصوص مبدأ

الشمولية والعالمية يدل على ذلك كثرة الأمثلة التي يأتي بها كنماذج توضيحية يأتي بها من شعوب ودول كأمريكا وأوربا وغيرها.

٧- يلجأ الشاعر إلى النص القرآني في كثير من قصائده لإقامة الحجة والدليل وهذا الأسلوب يؤكد ثقافته الإسلامية .

٨- المفارقة الحادة من أكثر الأساليب دورانا في شعر احمد مطر الساخر لما يحمل هذا الأسلوب من دلالات تخدم الشعر الساخر.

Abstract

The studiers are used to provide definitions for the different literary phenomenon as irony. They believed that the human spirit is always eager to find comedy an outlet of its pain and it attempt to through Tokes to get away from its reality which is always a burden. It also attempts to disperse all his melancholy and to free his soul of poverty and failing ties. They also indicated that laughs, comedy, jokes, mocking, kidding, jesting and fun are nothing but psychological phenomenon of one type and it comes from that contradicted human nature.

They suggested that irony is a psychological penality or punishment that is meant to harm the human spirit which is more painful than physical punishment. Those who mock you may be attempting to cheer you up and to fill the esiure time and ect. All of these opinions find their way in general and in the Arabic poetry in particular. But when I and the poetry of Ahmed Mater. I found that he is a mocking poet of a special type, because he bears a general human cause with its political, social and economical dimensions that the people of different classes suffer from under the authority of a tyrant power.

He reveals those problems in a comic style that teaches level of melancholy proving that mockers are the most sad people in an attempt to shed the light on it to extract successful solutions for the problems that he indicates in his poetry.

This style which is different from other poets styles we know during the past literary eras we the reason to study Ahmed Matar's poetry.

I depended in my study on the poetic text only, because there was no similar studies of Ahmed Matar's poetry and his mock poetry in particular .

Even if it is found, it is hard to get because of the rumors that attacked his poetry during the past years, therefore the lack of references and studies dedicated to Ahmed Matar was the main obstacle facing the research.

In this study , I dealt with the mock poetry in the preface, then I studied the elements of irony in Ahmed Matar's poetry. In addition, I studied three subjects within three sections.

In the first one I studied the irony of the authority. In the second, I studied the irony at the rulers. In the third, I dealt with the irony of time.

Then, I studied in the fourth the style of paradox which was the main one used by the poet in his poetry. Then I stated the main results which I reached. And praise may be to God.

هوامش البحث

(١) ينظر أبو حيان التوحيدي ،زكريا إبراهيم ٢٥٠.

(٢) سايكولوجية الفكاهة ص٩ دار مصر للطباعة .

(١) ينظر كوميديات ارستوفانيس مج / الأول ترجمة أمين سلامة وزارة الثقافة والفنون / الجمهورية العراقية مطبعة الشعب.

(٢) ينظر النقد الاجتماعي الساخر ص ٢٤.

٥- الهجاء سامي الدهان ص ١٠.

٦ - ينظر الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري حسين صبيح العلاق ص١٣٥. منشورات مؤسسة الاعلمي / بيروت

٧ - فن الهجاء وتطوره عند العرب ايليا حاوي ص ٩.

٨ - ينظر ديوان حسان ص ٧٤تحقيق سيد حنفي مطبعة الهيأة المصرية العامة لكتاب ١٩٧٤م.
٩ - ينظر سورة البقرة ٢١٢، هود ٣٨، الحجرات ١١، الأنعام ١٠، الأنبياء ٤١، المائدة ٥٨، التوبة ١٢٤،٦،٥، الكهف ١٠٦، هود ٣٨، الزخرف ٤٧، الحجر ٩٥وغيرها.
١٠ - ينظر التطور والتجديد في الشعر الأموي د. شوقي ضيف ص ١٨٠.والقصة في الاغاني ص ٥٢/٨.
١١ - ينظر ديوان ابن الرومي .
١٢ - ينظر اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ١٩ وما بعدها د. قحطان التميمي دار المسيرة – بيروت .
١٣ - النقد الاجتماعي الساخر ص ٢١.
١٤- ينظر كتاب الشعر / أرسطو ص ٦ ترجمة إحسان عباس .
١٥ - ينظر رغيف النار والحنطة ٢٤٠شاكر النابلسي.
١٦- ينظر حركة الشعر ١٧٨ احمد بسام ساعي.
١٧ - ينظر شاعر جديد يلفت الأنظار / رجاء النقاش مجلة المصور ١٩٨٤.
١٨ - الأعمال الشعرية الكاملة ص ١٨٨.
١٩ - ينظر لقاء مع احمد مطر ، عبد الرحيم حسن مجلة العالم عدد ١٨٥لندن اغسطس ١٩٨٧.
٢٠ - ينظر الحرية هي الحاضنة للإبداع . احمد مطر ص ٥٤.
٢١- ينظر : الفكاهة والسخرية في أدب مارون عبود ص ١١٥ سيمون بطبش ط / ١ دار مارون عبود / ١٩٨٣.
٢٢ - ينظر نفسه ص ١١٥.
٢٣- رغيف النار والحنطة ص٢٤٩ شاكر النابلسي المؤسسة العربية للدراسات والنشر د.ت
٢٤ - الأعمال الشعرية الكاملة ص ٣٩.
٢٥- ينظر العالم عدد ٥٣،١٨٥ أحمد مطر .
٢٦- ينظر مقدمة للشعر العربي أدونيس ص ٤٠ بيروت ١٩٧١.
٢٧- ينظر ابن الرومي ، حياته من شعره ص ١١٤ منشورات المكتبة المصرية / بيروت.

٢٨- ينظر الشعر بين طاووس وغراب / أحمد مطر ٥١- ٥٢ مجلة الناقد عدد / ٦ لندن ١٩٨٨.
٢٩- الأعمال الشعرية الكاملة ص ٧٠.
٣٠- الأعمال الشعرية الكاملة ص ٣٩.
٣١ - الأعمال الشعرية الكاملة ص١٠١-١٠٢.
(٣٢)الأعمال الشعرية الكاملة ٣٢١.
٣٣ - الأعمال الشعرية الكاملة ٣٢١.
٣٤ - الأعمال الشعرية الكاملة ص ٧٣.
٣٥ - نفسه ص ٢٢٤.
٣٦ - الأعمال الشعرية الكاملة ص ٥٤.
٣٧ - الأعمال الشعرية الكاملة ص ٥٤.
٣٨ - الأعمال الشعرية الكاملة ص٩٤.
(٣٩) الأعمال الشعرية الكاملة ص ٩٠-٩١.
٤٠ - الأعمال الشعرية الكاملة ص٣٦.
(٤١) الأعمال الكاملة ص ٧٦- ٧٧.
٤٢ - إشارة إلى الآية (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)
٤٣ - الأعمال الشعرية الكاملة ١٦٣.
٤٤ - الأعمال الشعرية الكاملة ١٨٣.
٤٥ - الأعمال الشعرية الكاملة ٢٣٨.
٤٦ - الأعمال الشعرية الكاملة ١٣٧-١٣٨.
٤٧ - الأعمال الشعرية الكاملة ١١٨-١١٩.
٤٨ - الأعمال الشعرية الكاملة ص٦١.
(٤٩)الأعمال الشعرية الكاملة ٦١.
(٥٠)الأعمال الشعرية الكاملة ٦٤.
(٥١)الأعمال الشعرية الكاملة ٢٤-٢٥.
(٥٢)الأعمال الشعرية الكاملة ١٠٢.

(٥٣)الأعمال الشعرية الكاملة ١٨٣.
(٥٤)الأعمال الشعرية الكاملة ٢٥٢-٢٥٣.
(٥٥) هواجس : أحمد الصافي ٦.
(٥٦) الأعمال الشعرية الكاملة ٧٤.
(٥٧) الاعمال الشعرية الكاملة ص ٤٨٣.
(٥٨) الأعمال الكاملة / ٩٦.
(٥٩) ينظر الاعمال الشعرية الكاملة ص٧٥.
(٦٠) الأعمال الشعرية الكاملة ص ٢٤١.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم
٢- ابن الرومي حياته من شعره / منشورات المكتبة المصرية – بيروت
٣- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري د.قحطان رشيد التميمي / دار المسيرة- بيروت .
٤- الاعمال الشعرية الكاملة : احمد مطر / ط ٢ لندن / ٢٠٠٣
٥- التطور والتجديد في الشعر الاموي د. شوقي ضيف / ط٢ دار المعارف بمصر١٩٥٩.
٦- حركة الشعر الحديث : احمد بسام ساعي – دار المأمون للتراث دمشق ط١ / ١٩٧٨.
٧- الحرية هي الحاضنة للابداع – احمد مطر – مجلة الجزيرة العربية عدد ٣٠.
٨- ابو حيان التوحيدي – زكريا ابراهيم / سلسلة اعلام العرب / المؤسسة المصرية العامة للتأليف ١٩٦٤م.
٩- ديوان ابن الرومي / مختارات كامل كيلاني مصر ١٩١٤.
١٠- ديوان حسان / تحقيق سيد حنفي مطبعة الهيأة المصرية العامة للكتاب ط/ ١٩٧٤.
١١- رغيف النار والحنطة : شاكر النابلسي / المؤسسة العربية للدراسات والنشر د.ت
١٢- سايكلولوجية الفكاهة والضحك – زكريا ابراهيم – دار مصر للطباعة .
١٣- شاعر جديد يلفت الانظار : رجاء النقاس مجلة المصور ١٩٨٧.
١٤- الشعر بين طاووس وغراب – احمد مطر – مجلة الناقد / عدد ٦ لندن ١٩٨٨.

١٥- الشعراء الكتاب في العراق حسين صبيح العلاق : منشورات مؤسسة الاعلمي دار التربية بيروت بغداد ١٩٧٥.
١٦- العالم : احمد مطر عدد / ٣٥لندن .
١٧- الفكاهة والسخرية في ادب مارون عبود : سيمون بطيش ط/ ١ دار مارون عبود / ١٩٨٣.
١٨- فن الهجاء وتطوره عند العرب : ايليا حاوي / دار الثقافة بيروت – لبنان .
١٩- كتاب الشعر : ارسطو / ترجمة د. احسان عباس .
٢٠- كوميديات ارستوفان ترجمة امين سلامة مج١ وزارة الثقافة والاعلام / بغداد مطبعة الرشيد ١٩٧٨.
٢١- لقاء مع احمد مطر : عبد الرحيم حسن / مجلة العالم (٥٢-٥٤) لندن ١٩٨٧.
٢٢- مقدمة للشعر العربي ادونيس / دار العودة بيروت ١٩٧١.
٢٣- النقد الاجتماعي الساخر في الشعر العراقي الحديث : ابتسام عبد الستار محمد رسالة دكتوراه – كلية الاداب – جامعة بغداد ١٩٨٩.
٢٤- الهجاء وفنون الادب الغنائي : سامي الدهان ، دار المعارف بمصر د.ت